أم يعقوب ونساء القدوات

١٣/ ٢/ ١٤٣٨هـ

لما حدّث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلّجات للحُسن، المغيّرات خلقَ الله**» فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد، يقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته، فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك أنك لعنتَ الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحُسن، المغيرات خلقَ الله؟ فقال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأتُ ما بيْن لوْحَي المصحف فما وجدته! فقال: لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، فقالت المرأة: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن، قال: «اذهبي، فانظري»، قال: فدخلتْ على امرأة عبدالله فلم تَرَ شيئًا، فجاءت إليه، فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: «أما لو كان ذلك لم نجامعها»[1].

هذا الموقف من أم يعقوب وعبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يحمل في طياته رسالةً واضحةً، وهي: أن لنساء القُدُوات شأنًا آخر غير النساء

(١) رواه البخاري (رقم٤٤٨٦)، ومسلم (رقم٢١٢٥).

الأُخريـــات. **ومن نافلة القـــول**: إن الأحكام الشرعيـــة لا فرق فيها بين شـــخص وآخر؛ ولكن الشرع الكريم والفطرة يدلان على أن للقدوات شأنًا آخر غير، وآيات ســـورة الأحزاب في حق نساء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دليلٌ ظاهرٌ.

اليوم يتكرر تســـاؤل أم يعقوب -وهي تشـــاهد نســـاءَ القُدُوات في صالات الأفراح، و(الأنســـتغرام) و(ســـناب تشـــات) وغيرها- عن هذا التوسّـــعِ من نســـاءِ القدوات في تتبّعِ الرُّخص، والضعف في الأخذ بالعزائم، خاصة فيما يتعلق باللباس والحشـــمة، بل ربما تَســـابق بعضُهن إلى تتبّع أقوالٍ قد تصل إلى حدّ الشـــذوذ! ما أثّر ســـلبًا في نظرة بقية نساء المجتمع إلى أولئك القدوات، وصـــارت الحالة التي مرّت بها أمُّ يعقوب تتجدَّد معها بعضُ الأســـئلة، كالســـؤال عن أثر القوامة من قِبَل زوجٍ أو والدِ هؤلاء النسوة؟ وهل هؤلاء القدوات يُدركون أثرَ ضعفِ القوامة في غيرهم من الناس من الذين ينظرون إليهم وإلى نســـائهم بمنظر الإجلال والتقدير؟ وهل يقع في خلَدِهم أن عددًا غيرَ قليلٍ من النســـاء سيتعلَّلن -عند تســـاهلهن في اللباس وغيره من منظاهر التراخي والتوسّـــع غير الحميد- بنسائهم اللاتي سبقنهم إلى هذا المركب؟

لقد كان الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُدرك أن الأعين تنظر إلى القُدوات وأهليهم نظـــرًا مختلفًا عن غيرهم، كما حدّث ابنُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قائلًا: كان عمر بن الخطاب إذا نهى الناسَ عن شيءٍ دخل إلى أهله -أو قال: جمع- فقال: «إني نَهيتُ عن كذا وكذا، والناسُ إنما ينظرون إليكم نظرَ الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقَعوا، وإن هِبتم هابـــوا، وإني والله لا أوتَى برجلٍ منكم وقعَ في

شيءٍ مما نهيتُ عنه الناس، إلا أضعفتُ له العقوبةَ لمكانِه منّي، فمن شاء فليتقدّم، ومن شاء فليتأخّر»[1].

فهل يدرك القدواتُ ونساؤُهم الأثرَ الذي يُحدِثونه إنْ هم استقاموا، أو حادوا، أو توسّعوا؟ **ورحم الله مَن أعان على الثباتِ على الدِّين ولو بقدوةٍ صالحةٍ.**

(١) رواه معمر في جامعه، (رقم٢٠٧١٣)، وابن شبة في (تاريخ المدينة) (٢/ ٧٥١)، وسنده صحيح.